BALAGH
Journal of Islamic and Humanities Studies
Vol 2 / No 2 – Nov 1444 / 2022
ISSN: 2791-6561
Received: 06.11.2022 | Accepted: 15.11.2022 | DOI: 10.5281/zenodo.7336460 0000-0003-2302-7452

دلالة أسماء المكان في كتاب جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري

The Significance Of The Place Names in The Book "Group Of Proverbs" By Abi Hilal Al-Askari

علاء لدين كولتكين* **&** **بختيار خضر أحمده رش****

Aladdin GÜLTEKİN **&** **Bikhtiyar AHMEDARSH**

الملخص

يسعى البحث إلى دراسة أسماء المكان في كتاب (جمهرة الأمثال) لأبي هلال العسكري وما تحملها من دلالات رمزية، بهدف الكشف عن الأبعاد الإنسانية التي تحملها تلك الأسماء، خصوصًا تلك التي تتعلق بالجوانب النفسية والاجتماعية لدى الإنسان. فتكمن مشكلة البحث في تقصي تلك الدلالات التي تلمسها الباحث من خلال دراسته للكتاب، فوجد أن المكان يشغل فيه مساحة دلالية واسعة تستحق البحث، وذلك لما يتمتع به هذا العنصر الحيوي من علاقة تأثير وتأثر مع الإنسان ونشاطاته الحياتية، ولما يتميز به من سمات دلالية وجمالية تجعله يتميز بأهمية كبيرة داخل النسيج النصي للأمثال، والتي سيحاول الباحث الوقوف عندها ودراستها وفق المنهج الوصفي، وبالاستناد إلى الصياغة التركيبية للأمثال، وما جاء في المعاجم اللغوية من تأصيل لمعاني تلك الأسماء الدالة على المكان.

* أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة كارابوك، aladdingultekin@karabuk.edu.tr Orcid:0000-0003-2302-7452

** طالب الدكتوراه، كلية الإلهيات/جامعة كارابوك، bka7020@yahoo.com

الكلمات المفتاحية: أبو هلال العسكري، الأمثال، أسماء الأماكن، الدلالات النفسية والاجتماعية.

Abstract
The research seeks to study the place names in Abu Hilal Al-Askari's book (The Gathering of Proverbs) and their symbolic connotations, with the aim of revealing the human dimensions that these names carry, especially those related to the psychological and social aspects of humans. The problem of the research lies in the investigation of those connotations that the researcher touched through his study of the book, and he found that the place occupies a wide semantic space worthy of research, and that is because this vital element has a relationship of influence and influence with man and his life activities, and because of its semantic and aesthetic features that make it It is characterized by great importance within the textual fabric of proverbs, which the researcher will try to stand and study according to a descriptive approach, and based on the structural formulation of proverbs, and what came in linguistic dictionaries of rooting the meanings of those names indicating the place.
Keywords: Abu Hilal Al-Askari, proverbs, place names, psychological and social connotations.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد...

فكثيرًا ما تمر بالناس أحداثٌ يوميةٌ متميزةٌ تلفت انتباههم، فيعبرون عنها بالكلام، محاولين تصويرها باستخدام أقصر العبارات وأوجزها، فيأتي التعبير أحيانًا موافقًا للأحداث ومعبرًا عنها بدقة، ليمثل بذلك خلاصة لتلك التجربة الحياتية، فيعلق في الأذهان، وتتناقله الأجيال المتعاقبة عبر الأزمان كأمثال تضرب في الأحداث المشابهة، ليصبح في النهاية جزءًا راسخًا من ثقافة الشعب وتراثه، وتمثل عنده قواعد وأعرافًا اجتماعية يهتدى بها إلى الحث على مكارم الأخلاق وفضائلها، والنهي عما ينافيها.

والأصل اللغوي للمثل يدل على الشبه والنظير[١]، اما اصطلاحًا فهو فن كلامي يتميز بخصائص ومقومات تجعله جنسًا أدبيًا مستقلًا بذاته، مثله كمثل الشعر والخطابة والقصة والمقاملة والرسالة والمقامة. وبناءً على ذلك يمكن تعريف المثل بأنه قول موجز، صائب المعنى، تشبه به حالة حادثة بحالة سالفة[٢].

ويعد المكان واحدًا من أهم العناصر الحيوية التي تسهم في بناء كثير من النصوص الأدبية؛ لما له من أبعاد جمالية ووظائف دلالية، وإن أهمية المكان مستمدة من أهمية الواقع المعيشي للإنسان وتلك العلاقة الوثيقة التي تربطه بالمكان وتفصيلاته، إذ يفهم المكان بأنه المحيط أو "الكيان الاجتماعي الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه"[٣]، وبيئته التي تؤويه، فالإنسان ابن بيئته التي ولد وترعرع فيها، واكتسب منها معارفه الأولى، والعلاقة بينه وبين المكان علاقة تأثير وتأثر، فكلاهما يستمد خصائصه وملامحه وصفاته من الآخر، لذا أصبح المكان والإنسان مرآتان تنعكس إحداهما على الأخرى، فمن "خلال الأماكن نستطيع قراءة سيكولوجية ساكنيها وطريقة حياتهم وكيفية تعاملهم مع الطبيعة"[٤]، فما من أحد إلا وقد تأثر بالأماكن التي تفاعل معها، ووقع تحت تأثير سطوتها سلبًا كان أم إيجابًا.

ولا تكتمل الصورة الحقيقية للمكان الذي نعيش فيه ونحس به إلا حينما يأتي وصفه شفويا أم كتابيا من قبلنا، ليضفي ذلك الوصف على المكان القيمة الإبلاغية التواصلية التي تسهم في اكتمال الصورة المنشودة في ذهن المتلقي.

ويأتي التشكيل اللغوي للمكان عن تصورات إنسانية ذات أبعاد نفسية واجتماعية، فالمكان في نظر الإنسان الذي يعيش فيه ليس مكانًا مجردًا ذا أبعاد هندسية فحسب، وإنما هو مكان له تأثيره في جذب ذلك

---

[١] أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، ت: عبد السلام محمد هارون، (بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩م)، ٢٩٦/٥.

[٢] عبد المجيد قطامش، **الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية**، (دمشق: دار الفكر، ط١، ١٩٨٨م)، ١١.

[٣] ياسين نصير، **الرواية والمكان**، (بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨٦م)، ١٦.

[٤] نصير، **الرواية والمكان**، ١٧.

الإنسان نحوه[٥]، وهذا يعني أن استعمال المكان بمفهومه الجغرافي داخل النصوص الأدبية ومن خلال السياقات التي يوضع فيها يؤدي إلى تشكل دلالات مجازية[٦].

ويحتل المثل بوصفه فنًا أدبيًا نثريًا له خصائصه وأدواته المميزة مكانة رفيعة ضمن الفنون الأدبية العربية، لذلك أولى العلماء الأمثالَ اهتمامًا كبيرًا، ونظروا إليها بوصفها موروثًا فكريًا واجتماعيًا وأدبيًا لابد من العمل للمحافظة عليها من الضياع، فقاموا بجمعها وترتيبها في كتب ومجلدات، ومن تلك الكتب كتاب (جمهرة الأمثال) لأبي هلال العسكري*، والذي استقينا منه الأمثال التي يشكل فيها المكان ركيزة أساسية في بنائها الفني والدلالي.

وبما أن الأمثال نابعة من أصل البيئة والمجتمع، وإنها وليدة خلاصة تجارب حياتية ناتجة عن تفاعل الإنسان مع ما يشتملان عليه من مكونات وجزئيات، جاء المكان ليشكل أهم العناصر البيئية التي تربطها علاقات وثيقة بالإنسان، لذلك أصبح لعنصر المكان الدور والحضور الفعال في النصوص الأدبية ومنها الأمثال، إذ يلفت انتباه المتلقي ويحرك فكره وخياله نحو الدلالات المتشكلة ضمن السياقات النصية التي ورد فيها.

وظفت الأمثال العربية البيئة توظيفا دلاليًا إلى حدٍ بعيد، وذلك من خلال أسماء المكان التي كان لها الدور الفعال في ذلك، وجاء فيها المكان حقيقيًا ذا أبعاد إنسانية تظهر تجلياتها من خلال دلالات تشير إلى النواحي النفسية والاجتماعية التي تحمل معها المعاني التربوية والتعليمية.

---

[٥] غاستون باشلار، **جماليات المكان**، ترجمة: غالب هلسا، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٨٤م)، ٣١.

[٦] حميد الحمداني، **بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي**، (بيروت: المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩١م)، ٦٢.

* أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت ٣٩٥ هـ – ١٠٠٥ م) عالم لغوي وأديب نُسب إلى عسكر مُكرم من قرى الأهواز، له مؤلفات كثيرة أشهرها جمهرة الأمثال، وهو ابن أخت أبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري، وهو تلميذه أيضاً. ومن مؤلفاته الأخرى: ديوان شعره، المحاسن في تفسير القرآن، ديوان المعاني، الفروق في اللغة، شرح الحماسة، الأوائل، كتاب الصناعتين، ذم الكبر، الفروق اللغوية، معاني الأدب، مِن احتكم مِن الخلفاء إلى القُضاة، التبْصِرة، شرح الحماسة، الدّرهم والدّينار، التفسير في خمس مجلدات، فضل العطاء، لحن الخاصة، معاني الشعر، الأوائل، وذكر أنّه فرغ مِن تصنيف هذا الكتاب في سنة خمس وتسعين وثلاثمائة. خيرالدين الزركلي، **الأعلام (قاموس تراجم أشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، (بيروت: دار العلم للملايين، ط٧، ١٩٨٦م), ١٩٦/٢.

وبناءً على ذلك يقوم البحث بدراسة أسماء المكان في كتاب جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري والبحث عن الدلالات التي تحملها من خلال استخدامها داخل النسيج التركيبي لنصوص الأمثال.

"آمن من الأرض"[٧]

هنا تأتي "الأمانة ضدُّ الخيانة"[٨]، والمثل يضرب للتعبير عن التناهي والمبالغة في الأمانة، وذلك لأن الأرض "تؤدي ما تودع ويقولون (أكتم من الأرض) و(أحفظ من الأرض) و(أحمل من الأرض) وأخذ مسلم بن الوليد معنى هذا المثل فقال ما في الأرض نديم خير من حائط استودعه ما شئت يؤده إليك، وحدثه بما شئت يكتمه عليك وابصق في وجهه من غير جرم لا يشمئز منك يرغب في الوحدة والانفراد من الناس"[٩]، ونتلمس من هذا المثل تجلي إيحاءات ودلالات نفسية عميقة تدل على سكون الإنسان إلى الأرض التي يرى فيها مصدرا للأمانة، وهي صفة لا يجدها في أي شيء آخر، فالإنسان يودع في الأرض أعز ما لديه من أموات وأشياء نفيسة وهو مطمئن بأنها ستحفظ الأمانة على أتم وجه وستعيدها إليه متى ما أراد، كما تتجلى في الأرض معاني الرحابة والحب والتفاني والإيثار. فضلًا عما للأرض من بعد قدسيّ يتعلق بتشريف الله تعالى لها وتعظيمه، فهي الجهة الثانية التي تقابل السماء في القرآن الكريم، إذ تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [البقرة: ١٠٧]، كما أن الأرض هي المكان الذي شرفه الله تعالى بأن نسبها إلى ذاته العلية، إذ قال تعالى: ﴿ وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ ... ﴾ [هود: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿ .... أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا... ﴾ [النساء: ٩٧]، كما وكرمت الأرض باستخلاف الإنسان فيه فيها، إذ قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة: ٣٠]، فأصبحت مسرحًا لجميع الأحداث المتعلقة بحياة الإنسان من الميلاد إلى الممات، وفيها أنزلت الرسالات السماوية لهداية الناس إلى طريق الحق، وكانت الأرض جنديًا من جنود الله تعالى أدت أدوارها التي أنيطت إليها بكل أمانة في نصرة الرسل ودين الحق.

---

[٧] أبو هلال العسكري، **جمهرة الأمثال**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، (بيروت: دار الفكر، ط ٢، ١٩٨٨م)، ١٩٩/١.

[٨] إبن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ١٣٣/١.

[٩] العسكري، **جمهرة الأمثال**، ١٩٩/١.

"آمن من حمام مكة"(١٠)

والأمن هنا "الأَمَنَةُ من الأمان وبيْتٌ آمِنٌ ذو أَمْن. قال الله تعالى: ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هذا البَلَدَ آمِناً إبراهيم ٣٥"(١١). إذ جاء "من الأمن والإلف وذلك أنها لا تثار ولا تصاد فهي تأمن ويطول عهدها هناك فهي تألف تؤلف"(١٢)، فالمعروف عن الحمام أنه أسلم كائن على الإطلاق لذلك أصبح رمزا للسلام، ولا يمكن أن يعيش ويعشعش إلا في أأمن مكان وأسكن مكان، وبما أن مكة هي البلد الآمن لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي تكفل بأمانها من الخوف في قوله تعالى: ﴿ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾ [قريش:٤]، فهي أأمن مكان للحمام، لذلك يضرب هذا المثل للتناهي والمبالغة في التعبير عن الأمن والأمان لمكان ما، ففي اسم مكة دلالات نفسية واجتماعية ودينية تشير إلى مكانتها الاستثنائية، والتي تتجلى في بعدها القدسيّ المستمد من السماء، ليصبح هذا المكان مصدرًا لبعث الطمأنينة والسكينة في النفوس وتهواه القلوب العابدة، فترنو إلى صوبه العيون الدامعة عشقًا وشوقًا، فمكة هي ذلك المكان المألوف والمحبب الذي ينشده كل محب للأمن والسلام.

"آلف من غراب عقدة"(١٣)

في معنى آلف "يقال آلَفَت هذه الطَّيرُ موضعَ كذا، وهن مُؤْلِفاتٌ، لأنّها لا تبرح"(١٤)، و"عقدة: أرض كثيرة الشجر فلا يكاد الغراب يفارقها لخصبها، وقيل كل أرض مخصبة عقدة، والعقدة من الكلأ ما يكفي الإبل سنة وعقدة الدور من ذلك لأنها كفاية أصحابها"(١٥)، وجاء في معنى العقدة أن "العُقْدَةَ من الشّجَر: ما اجتمع وثبَتَ أصلُه. ويقال للمكان الذي يكثر شجرُه عُقدة أيضاً. ويقولون: (هو آلَفُ من غُراب العُقْدة)، ولا يطير غُرابها. والمعنى أنّه يجد ما يريده فيها"(١٦). وعقدة "لا تصرف على أنها علم لأرض بعينها كثيرة النخل فالتأنيث والعلمية يأبيان صرفها، وتصرف على أنها اسم كل أرض مخصبة والعقدة الكلأ الكاف للإبل

(١٠) العسكري، **جمهرة الأمثال**، ١/١٢.
(١١) إبن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ١/١٣٣-١٣٤.
(١٢) العسكري، **جمهرة الأمثال**، ١/١٩٩.
(١٣) العسكري، **جمهرة الأمثال**، ١/١٢.
(١٤) إبن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ١/١٣١.
(١٥) العسكري، **جمهرة الأمثال**، ١/١٩٩.
(١٦) إبن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ٤/٨٨.

ومنها قيل لما فيه بلاغ الرجل وكفايته من العقار عقدة والغراب إذا وقع في هذه الأرض ألفها"[١٧]، وأن "كل أرض ذات خِصْب عُقْدَةٌ فعلى هذا يجب أن تكون عقدة بالخفض والتنوين والعقدة من الكلأ : ما يكفي الإبل وعقدة الدور والأرَضِينَ من ذلك لأن فيها البلاغ والكفاية وعَقْد كل شيء إحكامه"[١٨]. والمثل يضرب للتعبير عن التناهي والمبالغة في تآلف الإنسان مع المكان الذي يعطيه من خيراته، ويؤمن له سبل الحياة الكريمة الهادئة، ففي اسم المكان في هذا المثل دلالات نفسية واجتماعية توحي بالعلاقة التي تربط الإنسان بالمكان، وذلك من خلال ما يحمله من أبعاد إنسانية تتعلق بمبدأ اقتصادي واجتماعي يتمثل في أن الإنسان يتآلف مع المكان الذي يعمل فيه ويحس بالانتماء إليه حينما يجد فيه مقومات حياة طيبة تضمن له عيشًا هنيئًا يحافظ فيه على كرامته وعزته.

"ابن الطريق ولد الزنا"[١٩].

عندما نأتي إلى معاني الفعل طرق الذي جاء من أصله الطريق نجد أن لـ"(طرق) الطاء والراء والقاف أربعة أصول: أحدها الإتيان مَسَاءً والثاني الضَّرْب، والثالث جنسٌ من استرخاء الشيء، والرابع خَصْف شيء على شيء."[٢٠]. وعند التمعن في المعنى الأول نحس معه تجلي دلالات التخفي والسرية والخوف من الظهور والإعلان والتي تتناسب مع كل عمل مشين، أما المعنى الثاني المتمثل بالضرب فتتجلى منه دلالات التكسير والتهشيم والتفتيت، لنستدل من خلالها على تناسبها مع الآثار النفسية والاجتماعية المترتبة عن فعل الزنا، إذ هو فعل مشين يبعث في فاعله مشاعر القلق والخوف تضيق عليه الدنيا وتظلمها، كما أن فيه تجاوزًا لحد من حدود الله تعالى، وانتهاكًا للفطرة السليمة التي فطر الناس عليها. وأما المعنى الثالث الذي هو الاسترخاء فيمكن أن نتلمس منه دلالات الإطراق للرأس، فبدل أن يكون هذا الرأس علامة للشموخ يمسي علامة للشعور بالخزي والعار، ويتبع ذلك استرخاء الجفون خجلًا وخوفًا من ذلك الموقف المهين للشخص المقصود، وأما المعنى الرابع ففيه دلالة الجمع بين شيئين.

---

[١٧] أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، **المستقصى في أمثال العرب**، (بيروت: دارالكتب العلمية، ط٢، ١٩٨٧م)، ٨/١.

[١٨] أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، **مجمع الأمثال**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت: دار المعرفة، دط، دت)، ٨٧/١.

[١٩] العسكري، **جمهرة الأمثال**، ٣٨/١.

[٢٠] إبن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ٤٤٩/٣.

وفضلا عن تلك المعاني المختلفة نتلمس في اسم المكان الطريق أيضًا دلالات تشير إلى معاني اللحظة العابرة المؤقتة التي يتصف بها فعل الزنا، والتي تتبعها مشاعر الندم والحسرة التي تحز القلوب، لأن الطريق بما يحمله من معنى القصر يمكن أن نتلمس منه دلالات آنية الأشياء والمواقف وعدم ديمومتها واستمراريتها، بحيث لايمكن أن يصل بالإنسان إلى الاستقرار والسكينة.

"إبن السبيل الغريب"[٢١]

والسبيل الذي جاء من أصل (سبل) يختلف عن الطريق بأنه "الممتدُّ طولاً: السّبيل، و(سبل) يدلُّ على إرسال شيءٍ من عُلو إلى سُفل، وعلى امتداد شيء ويقال للمسافر: ابن السّبيل"[٢٢] والسبيل كثيرا ما استعملت في القرآن مع الجهاد وابن السبيل هو صنف من الأصناف الثمانية الذين يستحقون الزكاة، وبهذا يتبين لنا أن دلالات اسم (السبيل) تشير إلى معاني إيجابية لدى الإنسان سواءً كانت نفسية أو اجتماعية، فهي تبعث في نفسه الميل والرغبة في التعاطف والتكاتف مع الآخر دون وضع الاعتبار لعوامل القرابة والنسب.

"إبنا شمام"[٢٣]

وهما "هضبتان في أصل جبل"[٢٤] وفيهما قول الشاعر:

"وَكُلُّ أخٍ مُفَارِقُهُ أخُوهُ ... لَعَمْرُ أبِيكَ إلاَّ ٱبنَيْ شَمَامِ"[٢٥]،

و"الشَّمامُ: جبل له رأْسانِ يُسَمَّيانِ ابْنَيْ شَمامٍ"[٢٦]. إن هذا الجبل يُرى من بعيد على شكل جبلين متلاصقين من الأسفل متفرقين من الأعلى وكأنهما توأم سيامي، وهذا هو السبب في تسميته بابني شمام أي أنهما أخوان لا يتفرقان، لذلك يضرب هذا المثل في التناهي والمبالغة في التعبير عن الملازمة وطول العشرة بين شخصين. ونتلمس من هذا التشبيه الجميل تلك النظرة الإنسانية تجاه المكان، والتي تحمل الكثير من الإيحاءات النفسية والاجتماعية التي تنبثق من الأخوة الصادقة.

---

[٢١] العسكري، **جمهرة الأمثال**، ١/٣٨.

[٢٢] إبن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ١٢٩/٣ – ٣٠٤/١.

[٢٣] العسكري، **جمهرة الأمثال**، ٣٩/١.

[٢٤] العسكري، **جمهرة الأمثال**، ٣٩/١.

[٢٥] الميداني، **مجمع الأمثال**، ٤٣٨/١.

[٢٦] محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، **لسان العرب**، (القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٣م) ٥/ ١٩٨، باب الشين.

"بنت الجبل"[٢٧]

والبنت هنا بمعنى "الصدى وهو الصوت الذي يرجع إليك من الجبل وأنث على معنى الصيحة، يضرب مثلا للرجل الذي يتكلم مع كل متكلم ويجيب كل قائل وأصله الصدى الذي يجيب المتكلم في الجبال وما يجري مجراها"[٢٨]، ويقول الميداني "هي صوتٌ يرجع إلى الصائح ولاحقيقة له يضرب للرجل يكون مع كل واحد، وإنما أنث فقيل (بنت) ذهابا إلى النتيجة، أي أنها تنتج منه أو إلى الصيحة"[٢٩]، ويضرب هذا المثل للتعبير عن حال رجل واهن ضعيف الرأي، فهو إنما يتبع آراء الآخرين ويردد كلامهم، ومثل هذا النوع من الأشخاص لايمكن الاعتماد عليهم في المشورة، واللجوء إليهم بقصد التماس الحقيقة لايجدي أي نفع. وهذه حالة نفسية واجتماعية تتعلق بالسلوك الشخصي لهذا النوع من الناس، والتي تخلف عواقب سلبية في المجتمع سواءً على مستوى الأفراد أو الجماعات، تتمثل في الغموض وضياع الحقيقة وعدم الوصول إلى نتيجة تحسم الأمور عن جد.

"أطيب نشرًا من الروضة"[٣٠]

فمعنى الروضة يأتي من "(روض) الراء والواو والضاد أصلانِ متقاربانِ في القياس، أحدهما يدلُّ على اتّساعٍ، والآخَرُ على تلْيينٍ وتسهيل. فالأولُ قولهم استراض المكانُ: اتّسَعَ. قال: ومنه قولهم: (افعل كذا ما دامَ النَّفَسُ مستَرِيضاً)، أي متَّسعاً. ومن الباب الرَّوضة. ويقال أرَاضَ الوادِي واستراضَ، إذا استَنْقَعَ فيه الماء. وكذلك أراضَ الحوضُ. ويقال للماء المستنقِع المنبسِط رَوْضَة. وأما الأصل الآخَر: فقولهم رُضْتُ النّاقَة أرُوضُها رياضةً"[٣١]. فيضرب المثل للتناهي والمبالغة في التعبير عن استحسان المكان واستحبابه، وبعد ذلك أخذ اسم الروضة بعدًا قدسيًّا عند المسلمين استمدوه مما تميزت به رياض الجنة والروضة الشريفة من سمات قدسيّة، لذلك أصبح لاسم الروضة أبعادٌ إنسانية تتعلق بالمعتقدات الدينية التي لها التأثير في نمط السلوك النفسي والاجتماعي لدى المسلمين، إذ يبعث في النفوس الراحة والسكينة، ويثير في القلوب مشاعر الحب وعشق المكان.

---

[٢٧] العسكري، **جمهرة الأمثال**، ١/٤١.

[٢٨] العسكري، **جمهرة الأمثال**، ١/٤١- ١/٢١٤.

[٢٩] الميداني، **مجمع الأمثال**، ١/٩٧.

[٣٠] العسكري، **جمهرة الامثال**، ٢/٢٤.

[٣١] إبن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ٢/٤٥٩.

"أعمق من البحر"(٣٢)

ومعنى "البَحْرُ الماءُ الكثيرُ مِلْحاً كان أَو عَذْباً وهو خلاف البَرِّ سمي بذلك لعُمقِهِ واتساعه"(٣٣). والإنسان شديد العلاقة بالبحر تأثيرا وتأثرا، فللبحر الحضور الكثيف في الحياة الاجتماعية والنفسية للإنسان، وذلك لما له من دور حيوي يتمثل في إمتاع الإنسان بجماله ونفعه بخيراته، والبحر يثير لدى الإنسان مشاعر متباينة، فقد يشعره بالراحة والألفة والاتساع والتأمل والتطلع وقد يشعره بالخوف والوحدة والفراق بينه وبين أحبته، ولكن مع هذا يبقى البحر مكانًا محببًا تألفه النفوس والقلوب وترتاح العيون بالنظر إلى لونه الأزرق، فضلًا عما يتصف به البحر من جود وكرم لمن يبغي خيراته الفياضة، ففيه كل ما هو نفيس وغالٍ من لؤلؤ ومرجان وأنواع الرزق، ويُشَبّه الإنسان الكريم أو العالم بالبحر، وذلك لصفات الكثرة والاتساع والعمق التي يتصف بها البحر، لذلك المثل ليضرب به في التعبير عن التناهي والمبالغة في المدح والثناء.

"أم أوعال"(٣٤)

وأم أوعال هي "هضبة معروفة"(٣٥)، ومعنى الوعل هو أنه "ذكَر الأرْوَى وعلى التشبيه قيل لِكِبار الناس وُعُول"(٣٦)، إذن الوعل فيه معاني القوة والشرف، وكل هضبة فيها الأوعال سميت بأم الأوعال، ويضرب المثل في المدح والثناء على مكان فيه الشرفاء والأكارم، فعلاقة التأثير والتأثر بين المكان وساكنه واضحة في المثل، لأن وجود المكان ورفعته مرتبطان بوجود ورفعة الساكن، فالمكان تأثر بالساكن لأنه عرف واشتهر وتشرف بوجوده.

(٣٢) العسكري، **جمهرة الأمثال**، ٢/٣٤.

(٣٣) إبن منظور، **لسان العرب**:، ١/٣٣٣، باب الباء.

(٣٤) العسكري، **جمهرة الأمثال**، ١/٤٦.

(٣٥) العسكري، **جمهرة الأمثال**، ١/٤٦.

(٣٦) الميداني، **معجم مقاييس اللغة**، ٦/١٢٣.

"إياكم وخضراء الدمن"[٣٧]

أشار العديد من العلماء إلى هذا المثل على أنه حديث النبي صلى الله عليه وسلم، ولكنه يعد من الأحاديث الضعيفة[٣٨]، وجاء للتعبير عن "المرأة الحسناء في منبت السوء، إذ شبهها بالعشب الذى ينبت على الدمن"[٣٩]، وخضراء الدمن "نبت ينبت على البعر فيروق ظاهره وليس فى باطنه خير، وضربه مثلا للمرأة الحسناء فى منبت السوء، ومعناه النهي عن نكاح الحسناء في منصب السوء"[٤٠]، فيضرب المثل في التحذير من الانخداع بالمظاهر وجمال الشكل، وفيه الحث على التمعن والتعمق في أصول الأمور وبواطنها، فجاء المكان هنا لبيان حالة اجتماعية، وهذا ما يؤكد أن للمكان الدور والحضور القوي في الحياة الاجتماعية ليصل إلى درجة يفسر من خلاله خلالها السلوك الاجتماعي لدى الإنسان.

"بلغ السيل الزبى"[٤١]

والزبى هي اسم لمكان إذ يأتي معناها أنها "جمع زُبْيَة، وهي حُفْرة تُحْفَر للأسد إذا أرادوا صَيْده وأصلها الرابية لا يَعْلُوها الماء فإذا بلغها السيلُ كان جارفا مُجْحفاً. يضرب لما جاوز الحد"[٤٢]، ويضرب هذا المثل لغرض التهديد وذلك عندما تتجاوز الأمور أفق التوقع، وتصل إلى حدود يصعب عندها التحمل، بحيث تحتاج إلى رد فعل قوي، فجاء المكان هنا مفسرا لحالة نفسية واجتماعية، إذ شبه الغضب بالسيل الذي يتجمع ويتعاظم شيئا فشيئا ليصل إلى حد لا يمكن إيقافه وتخرج معه الأمور عن السيطرة، ويشبه رأس الإنسان بالزبى التي هي في أعلى الرابية وقد امتلأ غضبا كما تمتلئ الزبى ماء، ليؤكد لنا ما للمكان من تأثير قوي في نمط التفكير والسلوك في تعامل الإنسان مع محيطه والأحداث التي تواجهه وفق دوافع تتحكم فيها ميوله النفسية وعلاقاته الاجتماعية.

---

[٣٧] العسكري، **جمهرة الأمثال**، ١/١٧.

[٣٨] أبو هلال العسكري، **جمهرة الأمثال**، تنسيق: أحمد عبد السلام، تخريج الأحاديث: ابو هاجر محمد سعيد بن بسيوني زغلول، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٨م) ١/٢١. محمد ناصرالدين الألباني، **سلسلة الأحاديث الضعيفة وأثرها السيء في الأمة**، (الرياض: مكتبة المعارف، ط١، ١٩٩٢م)، **١/٦٩**.

[٣٩] الزمخشري، **المستقصى في الأمثال**، ١/٤٥١.

[٤٠] العسكري، **جمهرة الأمثال**، ١/١٧.

[٤١] العسكري، **جمهرة الأمثال**، ١/٢٢٠.

[٤٢] الميداني، **مجمع الأمثال**، ١/٩١.

"جرى الوادي فطم على القرى"[٤٣]

ومعناه "جرى سيلُ الوادي فطَمَّ أي دَفَن يقال : طَمَّ السيلُ الركيةَ أي دفنها والقَرِيُّ : مَجْرَى الماء في الروضة والجمع أَقْرِيَة وقِرْيَان و(على) مِنْ صلة المعنى : أي أتى على القَرِيِّ يعني أهلكه بأن دفنه ويضرب عند تجاوز الشر حده"[٤٤]، وكذلك "يضرب مثلا للأمر العظيم يجيء فيعم الصغير والكبير, والوادي النهر الكبير, والقرى مجرى الماء الى الروضة, والجمع قريان وأقريه, وطم علا وقهر ومنه سميت القيامة: الطامة, وطما أيضا إذا علا وكثر"[٤٥]. ويفسر لنا المثل كيف يهدم جريان الوادي مجاري الماء الهادئة في الروضة الجميلة كذلك الشر عندما يتجاوز حده فإنه يهدم الهدوء والسكينة والجمال ليحل محلها الفوضى والخراب والقبح، فشبه الهدوء النفسي والاجتماعي بجريان المياه الهادئة في الروضة، وفي المقابل شبه الطغيان والشر بجريان الوادي الهادم لكل شيء.

خذ ما قطع البطحاء"[٤٦]

ومعنى البطحاء أنها "مَسِيلٌ فيه دُقاقُ الحَصى وقيل بَطْحاءُ الوادي تراب لَيِّنٌ مما جَرَّتْه السُّيُولُ"[٤٧]، وأصل المثل جاء "في الماشية يقول خذ منها ما به قوة وفيه بقية تقدر على ان تقطع معها البطحاء، والبطحاء بطن الوادي وكذلك الأبطح والجمع بطاح وأباطح"[٤٨]، ويضرب المثل في التعبير عن الاستعانة بالرفيق القوي الذي يتحمل معك الصعاب والتحديات، فجاءت البطحاء هنا للدلالة على المصاعب والعقبات التي تواجه الإنسان في مسيرته الحياتية، والتي لايمكن أن يجتازها لوحده، فتحتم عليه الضرورة أن يستعين بغيره ويتكاتف معه في مواجهتها والتغلب عليها، فأسهم اسم المكان في إبراز جانب مهم من الجوانب التي يعتمد عليها تأسيس العلاقات الاجتماعية.

---

[٤٣] العسكري، **جمهرة الأمثال**، ١/٣٢٢.

[٤٤] الميداني، **مجمع الأمثال**، ١/١٥٩.

[٤٥] العسكري، **جمهرة الأمثال**، ١/٣٢٢.

[٤٦] العسكري، **جمهرة الأمثال**، ١/٤٢١.

[٤٧] ابن منظور، **لسان العرب**، ١/٤٤٠، باب الباء.

[٤٨] العسكري، **جمهرة الأمثال**، ١/٤٢١.

"ليتنا في بردة أخماس"(٤٩)

وبردة أخماس هي بردة "طولها خمسة أشبار أي ليتنا متقاربون مجتمعون في مكان واحد"(٥٠)، أذ إذ "يقول ليتنا قد جمع بيننا فتقاربنا, وبردة أخماس يعني بردة تكون خمسة أشبار"(٥١)، فضيق المكان يحمل دلالة اجتماعية ونفسية تشير إلى الرغبة في التقارب وإظهار االمودة تجاه المقابل، فألفة المكان ووحشته تتغيران بتغير الحالة النفسية والاجتماعية سلبًا وإيجابًا، فكلما زادت المحبة بين شخصين زادت الرغبة في تقارب المسافات ورفع الحواجز بينهما، استطاعت بردة الأخماس أن تحمل تلك الدلالات التي تسهم في التعبير عن التحبب نحو الآخر والتقرب إليه.

"الليل وأهضام الوادي"(٥٢)

المعنى هو أن "الهِضْمَ ما تَطامَن من الأَرض وجمعه أَهْضامٌ ومنه قولهم في التحذير من الأمر المخُوف الليلَ وأَهْضامَ الوادي يقول فاحْذَرْ فإنك لا تدري لعلَّ هناك مَن لا يُؤْمَن اغْتِيالُه"(٥٣)، ويقول الزمخشري إن أهضام هو "جمع هضم وهو المكان المطمئن أي احذر شر الليل وشر بطون الأودية فلا تسر فيها فلعل هناك مغتالا ويضرب في التحذير من أمرين مخوفين"(٥٤)، فهذا المثل "يضرب مثلا للأمرين يخافان جميعا وأصله أن يسير الرجل ليلا في بطون الأودية فيجتمع عليه هول الليل ومخافة ما يغتاله من لص أو سبع أو حنش وواحد الأهضام هضم وهو المنخفض من الأرض ومنه سمي النقص هضما يقال هضمته حقه إذا نقصته إياه وذلك أن الهضم نقصان في الأرض وإليه يرجع هضم الطعام فإنه ينقص فيزول عن رأس المعدة"(٥٥) هذا إذا جاء (الليل وأهضام) منصوبين لفعل محذوف تقديره (أحذر)، أما إذا جاءا مرفوعين لفعل تقديره جاء فيمكن أن يضرب للتعبير عن ازدواجية مصيبتين تحلان بإنسان، فيصور الإنسان في بطن الوادي يُهضم كما يُهضم الطعام في معدة وحش مفترس ويأتي الليل ليزيد الأمر سوءًا على سوء، فتتكدس عليه الظلمات بحيث تجعله يعيش في حالة نفسية تتصف بالقلق والحيرة والضياع والخوف، وذلك عندما يتلقى الإنسان وقع المصائب

(٤٩) العسكري، **جمهرة الأمثال**، ٢/٢٠٦.
(٥٠) الزمخشري، **المستقصى في الأمثال**، ٢/٣٠٣.
(٥١) العسكري، **جمهرة الأمثال**، ٢/٢٠٦-٢٠٧.
(٥٢) العسكري، **جمهرة الأمثال**، ٢/١٧٨.
(٥٣) إبن منظور،**لسان العرب**، ٩/١٠٣، باب الهاء.
(٥٤) الزمخشري، **المستقصى في الأمثال**، ١/٣٤٤.
(٥٥) العسكري، **جمهرة الأمثال**، ٢/١٨٨.

واحدة تلو الأخرى، فجاء اسم المكان (الوادي) الذي يتصف بوحشة متاهاته ليكون أداة من أدوات التعبير عن تلك الحالة النفسية السلبية لدى الإنسان.

"مرعى ولا أكولة"[٥٦]

ومعنى "الأكُولة: الشاة التي تُغْزَل للأكل وتُسَمَّن يضرب للمتمّولِ لاَ آكِل لماله"[٥٧]، ويمكن أن "يضرب مثلا لرجل له مال كثير وليس له من ينفقه عليه"[٥٨] وربما يضرب للتعبير عن البخيل الذي يجمع المال ويكدسه دون أن ينتفع به لا هو ولا من حوله. فالأصل في المال أن يصرف كما الأصل في المرعى أن يؤكل، فجاء اسم المكان (مرعى) تعبيرا عن حالة اجتماعية ونفسية سلبية وهي حب المال لذاته، والذي يؤدي بصاحبه إلى تكديسه دون الانتفاع به.

"من سلك الجدد أمن العثار"[٥٩]

و"قيل الجَدَدُ الأَرض الغليظة وقيل الأَرض الصُّلْبة وقيل المستوية وفي المثل من سَلَكَ الجَدَدَ أَمِنَ العثارَ يريد من سلك طريق الإجماع فكنى عنه بالجَدَدِ"[٦٠]، وفي المثل جاءت بمعنى "الأَرض المستوية ويضرب في طلب العافية"[٦١]، ويضرب في الحث على الاستقامة في الحياة وتجنب الأخطاء والمعاصي، فضمان حياة هادئة هو تجنب الطرق الملتوية المليئة بالحفر والعوائق واتخاذ طريق مستقيم. فجاء اسم المكان (الجدد) ليحمل دلالة تشير إلى نمط معين من الحياة يؤمن للإنسان الهدوء في علاقاته الاجتماعية والراحة النفسية التي ينشدها.

---

[٥٦] العسكري، **جمهرة الأمثال**، ٢/٢٢٥.

[٥٧] الميداني، **مجمع الأمثال**، ٢/٢٧٧.

[٥٨] العسكري، **جمهرة الأمثال**، ٢/٢٥٤.

[٥٩] العسكري، **جمهرة الأمثال**، ٢/٢٢٦.

[٦٠] إبن منظور، **لسان العرب**، ٢/٥١، باب الجيم.

[٦١] الميداني، **مجمع الأمثال**، ٢/٣٠٦.

الخاتمة

في الختام ومن خلال تقصي تلك الأمثال التي كان لأسماء المكان الدور الحيوي في تشكيل بنائها الفني تبين للباحث أن توظيف المكان في الأمثال ليس كما في أي جنس أدبي آخر، إذ هو ليس بمسرح للأحداث تتحرك فيه الشخصيات كما يحدث في القصة والرواية، وإنما جاءت أسماء المكان بوصفها مؤشرات إيحائية تحمل في طياتها دلالات اجتماعية ونفسية متعلقة ببيئة العرب من حيث المكان، وكل ما يتعلق به من تفصيلات وجزئيات، بشكل يمكن التعرف به على تلك البيئة من خلال تلك الأمثال، وكذلك الوقوف عند علاقة التأثير والتأثر بينه وبين الإنسان.

وجاء تناول تلك الأمثال للمكان تناولا حسيا، أي إن المكان الذي نجده في الأمثال هو مكان واقعي معيش من قبل الإنسان العربي بعيد عن الخيال العجائبي، بشكل ساعد كثيرا في تقريب الصورة إلى ذهن المتلقي وأحاسيسه، بشكل يؤكد له أن للمكان حضورا ودورا قويا في حياة ذلك الإنسان، فقد جاءت تلك الاستعمالات لأسماء المكان في الأمثال معبرة عن مبادئ تنسجم مع القيم الاجتماعية والفكرية والطبيعة النفسية للمجتمع العربي.

قائمة المصادر والمراجع

إبن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري. **لسان العرب**، (القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٣م).

الألباني، محمد ناصرالدين. **سلسلة الأحاديث الضعيفة وأثرها السيء في الأمة**، (الرياض: مكتبة المعارف، ط١، ١٩٩٢م).

باشلار، غاستون. **جماليات المكان**، ترجمة: غالب هلسا، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٨٤م).

بن زكريا، أبو الحسن أحمد بن فارس. **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩م).

الحمداني، حميد. **بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي**، (بيروت: المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٩١م).

الزركلي، خيرالدين. **الأعلام (قاموس تراجم أشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، (بيروت: دار العلم للملايين، ط٧، ١٩٨٦م).

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر. **المستقصى في أمثال العرب**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢، ١٩٨٧م).

العسكري، أبو هلال. **جمهرة الامثال**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، (بيروت: دار الجيل ودار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٨٨م).

العسكري، أبو هلال. **جمهرة الأمثال**، تنسيق: أحمد عبد السلام، تخريج الأحاديث: ابو هاجر محمد سعيد بن بسيوني زغلول، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٨م)

قطامش، عبد المجيد. **الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية**، (دمشق: دار الفكر، ط١، ١٩٨٨م).

نصير، ياسين. **الرواية والمكان**، (بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨٦م).

النيسابوري، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني. **مجمع الأمثال**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت: دار المعرفة، دط، دت).